

وما سواها (245)

صوت الحياة !! (1)



sadigalsamarrai@gmail.com

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

للحياة صوت إن لم نسمعه جيدا ونصغي إليه بإمعان فأنا نغفل إرادة التحدي والثبات ، ونتوهم بأن الحياة في الممات.

تلك موازين التفاعل الكوني وقوانين الوجود الراسخة الفاعلة في أعماق الموجودات الكائنة في فضاءات الكيان الهولي الفسيح ، فلا شيء بمعزل عما يكون فيه ويدور حوله ، فالواحد مرتبط بالواحد الأعظم الكبير ، كارتباط قطرة الماء بالنهر والبحر والمحيط والمطر ، فالشيء ذاته يلد من ذاته ويكون في ذات غيره وكيانه ، وكلنا في وعاء الكينونة نتحرك وفقا لموازين ثابتة وقوانين حازمة ، ومنطلقات ناجمة عن تفاعلات عناصر ما فينا وما حولنا ، وخالصة التعبير عن الحياة يتجسد بحصيلة النتائج المنبثقة من فم الكون الرشيد ، الذي يعزز بقاءه وسرمدية كينونته الخالدة في محاور الدوران.

ومن هنا فإن الحياة إرادة تجسيد لإرادة كبرى على الحي أن يدركها لكي يتحقق فيها ، والعلة الكبرى أن النسبة العظمى من المخلوقات تحاول التحرر من قبضة الموازين ، فنتيه في مجاهيل التداعيات ومغازات الإنفعالات والعماء المكين.

ولهذا فمن الواجب والمسؤولية أن نتفهم مواضع الخطوات في كون بلا حدود ، وقد حاولت الكتب الدينية الأخذ بالبشر إلى مسارات الأنوار والمدارك اليقينية ، لكن البشر منحرف بطبعه وميال لنفس أمارة بسوء مهين.

وهذه بعض أصواتها التي ربما تنفع:

أولا: الحياة تحكمننا!!

العلاقة ما بين المخلوقات والحياة معقدة وذات مشارب وغايات وتصورات ومنحدرات وتداخلات متشابكة لحد الغثيان والضلال والبهتان ، وقد حاولت الشرائع والتقاليد والأعراف والقوانين والأديان أن تنظمها وتمنحها آليات الإنسياب السلس ، لكنها وبلا إستثناء باءت بدرجات متفاوتة من الخسران.

وفي واقع السلوك الذي يشمل جميع الأحياء أنها بمسعاها تحرص على الحياة وتجاهد من أجل البقاء ، فكل مخلوق له آليات بقاء تساهم في ديمومة وجوده ورعاية مصيره ، والمخلوقات بأسرها تراعي مصالح نوعها وتداري قدراتها وتتوكل مع مستجدات زمانها ومكانها ، ولا تفتك بنوعها إلا لضرورات بقائية

للحياة صوت إن لم نسمعه جيدا ونصغي إليه بإمعان فأنا نغفل إرادة التحدي والثبات ، ونتوهم بأن الحياة في الممات

الواحد مرتبط بالواحد الأعظم الكبير ، كارتباط قطرة الماء بالنهر والبحر والمحيط والمطر

كلنا في وعاء الكينونة نتحرك وفقا لموازين ثابتة وقوانين حازمة ، ومنطلقات ناجمة عن تفاعلات عناصر ما فينا وما حولنا

أن الحياة إرادة تجسيد لإرادة كبرى على الحي أن يدركها لكي يتحقق فيها

العلة الكبرى أن النسبة العظمى من المخلوقات تحاول التحرر من قبضة الموازين ، فنتيه في مجاهيل التداعيات ومغازات الإنفعالات والعماء المكين

من الواجب والمسؤولية أن نتفهم مواضع الخطوات في كون بلا حدود

وأسباب موضوعية.

ويشذ عن هذا البشر الذي يتحفز بأنانيته وبقدرات القوى التي تتفاعل في دنياه وتستخدمه لما تريد وترغب , ولا يعينها مصيره وما سيحل به بسبب نوازعها ونواياها المتأججة , القدرة على الإغواء والتضليل والإلهاء .

والسلوك البشري لا يمكن إخضاعه لقوانين ثابتة بسهولة وإحكام , لأن الطاقات التي تتحكم بما يبدر منه لا تعد ولا تحصى وأنها في تنامي وإزدياد , حتى لتطغى وتسد وفقا لظروف الزمان والمكان , وتمضي في سلسلة التداخلات المريرة والنتائج العسيرة .

وبسبب الدماغ البشري وقشرته السميكة فإن علاقة البشر بالحياة ذات آليات متغيرة وتكاد تخلو من التقدير والإستنتاج , وإنما هي حالات إنفجارية وتطلعات فورية تساهم في صياغة الأحوال المتشابكة الساعية للتعقيد والتقييد .

ولا يمكن فهم العديد من السلوكيات الفردية والجمعية لأنها ذات منحنيات ومنحدرات , وصيروتات تفاعلية معقدة ومستترة تحت أغطية كثيفة وأقنعة متنوعة , وأحيانا يبدو الحال وكأنك أمام رأس بصل كبير الحجم , وعليك أن تقشره بمهارة وحذر لكي تصل إلى قلبه ومنبع فحواه .

وفي جميع الأحوال فإن العلاقة ما بين المخلوق والحياة هي التي تتحكم بمعطيات السلوك , وترسم خارطته وإتجاهاته المتفاعلة مع الذات وما حولها .

ومن صعب تحديد منابع النوازع والرغبات ولماذا يسعى هذا المخلوق بهذا الإتجاه دون غيره , فهل هي سلطة الحياة وإرادتها الدافعة نحو محطات لا ندركها , أم أنها الطاقة الكامنة في المخلوق والمتحققة فيه حال إبتداء تخليقه وتناميهِ وولادته؟

إنها لتساؤلات صعبة وتحديات كبيرة لا يزال البشر في منأى عن إدراك حقائقها والأجوبة الصائبة عليها , لكن دفق المسيرة الخلقية يتواكب والموجودات تتدافع , والحياة ماضية ومتألقة بكل ما فيها وما عليها وما تريده ولا تريده!!

ثانياً: أين قيمة الحياة!!؟

عندما أقرأ ما يُكتب في الصحف والمواقع والكتب , وأستمع للخطب والتصريحات والمحاضرات بأنواعها , وحتى الشعر , وأشاهد الأفلام والمسرحيات وأتابع المفكرين وذوي اللحي والعمائم المدعين بتمثيلهم لدين , أتساءل عن قيمة الحياة , وأمضي أبحث عنها فلا أجدها إلا فيما قل وندر!!

فالواقع العربي يكاد يخلو من قيمة الحياة في جميع النشاطات القائمة فيه , وبسبب هذا الغياب المروع الشديد لقيمة الحياة الحاصل يعبر عن هذا الفقدان الشديد لقيمة الحياة .

فأبحثوا معي عن قيمة الحياة حولكم , هل ستعثرون على شيءٍ منها!!؟

مدن بأحيائها وشوارعها تغطس بالنفايات , متسولون يملؤون الشوارع والحارات , ومظالم وإنتهاكات لحقوق الإنسان , وإعدامات بالجملة وأعمال إجرامية مفلوطة العنان , وبشر يبحث عن لقمة عيش ومرهون بالحاجات , بل هو أسير مكبل بالهموم والتهديدات , ويخشى أن يقول رأيه أو يطالب بحقوقه المتعارف

حاولت الصّجب الدينية الأخذ
بالبشر إلى مسارات الأنوار
والمدارك اليقينية

كل مخلوق له آليات بهاء تساهم
في ديمومة وجوده ورعاية
مصيره , والمخلوقات بأسرها
تتألمى مصالح نوعها وتداري
قدراتها وتتواكب مع
مستجدات زمانها ومكانها

السلوك البشري لا يمكن إخضاعه
لقوانين ثابتة بسهولة وإحكام ,
لأن الطاقات التي تتحكم بما
يبدر منه لا تعد ولا تحصى وأنها
في تنامي وإزدياد

بسبب الدماغ البشري وقشرته
السميكة فإن علاقة البشر بالحياة
ذات آليات متغيرة وتكاد تخلو
من التقدير والإستنتاج

أن العلاقة ما بين المخلوق
والحياة هي التي تتحكم
بمعطيات السلوك , وترسم
خارطته وإتجاهاته المتفاعلة مع
الذات وما حولها

الواقع العربي يكاد يخلو من
قيمة الحياة في جميع النشاطات
القائمة فيه , وبسبب هذا
الغياب المروع فإن السلوك
الحاصل يعبر عن هذا الفقدان
الشديد لقيمة الحياة

الواقع السياسي العربي يحتشد
برؤى وتصورات تجريد الحياة
من قيمتها وأهميتها , وإغلاء قيم
الموت والضعف والفتنوط
وإفراغ الحياة من أي معنى
إيجابي ودور ضروري لصناعة

فالرعاية الصحية متدنية وأسباب راحة المواطن متردية , وقدرات توفير فرص حياة حرة كريمة مستعصية , ودفن الناس بالهموم متنامية , ولا جديد في الأمر لكن الناس قد تعودت وصارت تحسب ما هي عليه من رزاة الأحوال أمرا عاديا , أو أنها تشعر بأن عليها أن تستلطف الشر الذي هي فيه تقاديا لشر أفسى منه وأمر , وبهذا فهي بلا قدرة على ممارسة الحياة , وإنما تزود عن حياتها من الحياة .

فالواقع السياسي العربي يحتشد برؤى وتصورات تجريد الحياة من قيمتها وأهميتها , وإعلاء قيم الموت والضعف والقنوط وإفراغ الحياة من أي معنى إيجابي ودور ضروي لصناعة الوجود الأفضل والأجمل , ويساهم في هذه النمطية التصويرية العديد من الذين يتاجرون بالدين ويمارسون رغباتهم المحكومة بأمانة السوء الفاعلة فيهم , والتي تغريهم بالشرور وتزينها لهم على أنها الخير والفضيلة وما هي إلا أوجه ننتة من الرذيلة الحمقاء .

ولهذا تجد الواقع العربي يعج بالويلات والتداعيات والأحزان والدموع والتفاعلات السلبية القاسية , التي تتاهض الحياة وتستدعي الموت وتستحضر الأموات , وتساهم في إقامة مهرجانات البكاء وذرف الدموع والقسوة على الذات , والتفنن بالبدع النكراء الخالية من معنى الحياة , وتصويرها على أنها إثم وخطيئة وبلاء .

ولا يمكن للناس أن يدركوا قوتهم وقدرتهم في الإنطلاق والتواكب والحضور المعاصر , إن لم يعيدوا للحياة قيمتها وأهميتها ويعترفون بقيمة وحقوق الإنسان , ويساهموا بإقامة العدل وعدم الركون إلى الظلم والتعبد في محاريب الكراسي وعروش السلطان الذي ينفلت في أعماقه ألف شيطان وشيطان .

ولعنة الدنيا بما فيها على الذين يحتكرون الحياة ويحرمون الملايين من تذوق بعض طعمها وقيمتها وأهميتها , بل ويخطفون منهم جوهرها ومعانيها , فالحياة لهم والموت للناس أجمعين , فأية أنانية وعدوانية يتم ممارستها باسم الدين!!!

ثالثا: الموارد البشرية طاقة الحياة!!

يبدو أننا من أجهل المجتمعات بالإستثمار في الموارد البشرية , وأكثرها أمية وعجزا وقصورا عن التفكير بأليات إطلاق ما في البشر من قدرات إقتصادية وإبداعية ذات قيمة حضارية معاصرة .

وجميع الأنظمة العربية تشترك بهذه المعضلة وتتمحن فيها وما عرفت لها حلا ومخرجا , والأمر واضح في مصر والسودان والعراق وسوريا وغيرها من الدول العربية , العاجزة عن الإستثمار في مواردها البشرية , والتي لا تجد لها سبيلا إلا بتهجير المواطنين أو دفعهم إلى أتون الحروب .

ففي العراق مثلا عندما توفرت الطاقات البشرية الواعدة المتوقدة المجهزة بالعلوم والمعارف في سبعينيات القرن العشرين , عجزت الدولة عن الإستثمار بالطاقات الجماهيرية المتحفزة الفائزة , فما كان لها إلا أن تتلفها في حرب تواصلت لثمان سنوات ولا تزال عجلاتها تدور في البلاد .

وكلما توفرت الموارد البشرية يتم ترتيب وقاعة لتدميرها , واليوم صار التهجير أو الطرد من البلاد بمعنى أصوب , هو الحل الأمثل , فيتم إختلاق المواقف والحالات الكفيلة بتهجير الناس وترحيلهم من مدنهم وقراهم , ودفعهم للضياع والغياب في شعوب وثقافات أخرى تعرف كيف تستثمر بالموارد البشرية .

يساهم في هذه النمطية التصويرية العديد من الذين يتاجرون بالدين ويمارسون رغباتهم المحكومة بأمانة السوء الفاعلة فيهم

الواقع العربي يعج بالويلات والتداعيات والأحزان والدموع والتفاعلات السلبية القاسية , التي تتاهض الحياة وتستدعي الموت وتستحضر الأموات

لا يمكن للناس أن يدركوا قوتهم وقدرتهم في الإنطلاق والتواكب والحضور المعاصر , إن لم يعيدوا للحياة قيمتها وأهميتها ويعترفون بقيمة وحقوق الإنسان

يبدو أننا من أجهل المجتمعات بالإستثمار في الموارد البشرية , وأكثرها أمية وعجزا وقصورا عن التفكير بأليات إطلاق ما في البشر من قدرات إقتصادية وإبداعية ذات قيمة حضارية معاصرة

كلما توفرت الموارد البشرية يتم ترتيب وقاعة لتدميرها , واليوم صار التهجير أو الطرد من البلاد بمعنى أصوب , هو الحل الأمثل

الدول التي ترحب بالمهاجرين لها قدرات وخبرات في إستثمار طاقاتهم وقدراتهم وستزداد قوة بهم .

فالدول التي ترحب بالمهاجرين لها قدرات وخبرات في استثمار طاقاتهم وقدراتهم وستزداد قوة بهم.

فلو سألت الصين كيف تقدمت , لأجابت أنها إستثمرت في مواردها البشرية , ولوسألت اليابان والهند وماليزيا وأنونيسيا والدول الأوروبية كافة , لوجدت ذات الجواب.

بينما أغلبنا لا يفهمون حتى في الإستثمار بالموارد النفطية التي حولوها إلى مصدر لولايات والتصارعات الداخلية والإقليمية , وما فكروا بالموارد البشرية , فبشرنا يُحسب عدو الأنظمة وعليها أن تقضي عليه لكي تبقى , وعليها أن ترهنه وتأسره وتحكمه بالرعب والمخاوف والحاجات , والحرمان من أبسط حقوق الإنسان وحاجاته الأساسية التي أقرتها الشرائع السماوية والدنيوية.

ولن نكون ونعيش بسلام , إن لم نوفر الطعام ونصل الرحم , ونستثمر في طاقات الإنسان وتأهيله لكي يكون قدرة إقتصادية ذات إنتاجية عالية.

فهل أدركنا أن الإسلام في بداياته قد إستثمر في الموارد البشرية العربية والعالمية وحقق ما حقق , وعندما تخلى عن هذه الآلية الحضارية إنحدرت الأحوال إلى الهاوية , وصار الإستثمار السليبي هو السبب الرئيسي لمتواليات الولايات والتداعيات , فكل حل يغفل الإستثمار في الموارد البشرية لا يمكنه أن يأتي بنتيجة إيجابية , وإنما يؤهل الواقع لمزيد من الخُطام!!

رابعاً: الأفراد بُنَاءَ الدنيا وَصَنَاءَ الحياة!!

الشعوب لا تبني ولا تصنع , وإنما الأفراد هم الذين يفعلون ذلك فيطلقون طاقات وقدرات الشعوب ويضعونها في سكة تطلعاتهم وإبداعاتهم الأصيلة , ولا يمكن لأي مجتمع أن يكون من غير أفراد قادرين على الأخذ به إلى آفاق الطموحات والغايات.

وجميع العقائد والأديان لا بد لها من فرد نبي أو رسول أو داعية أو مصلح أو إمام وغيرها من الأسماء , ولا يوجد دين بلا إنسان قائد ولا عقيدة بلا شخص يُقتدى به ويقود.

ولو نظرنا إلى ما جرى في مسيرة الحياة البشرية لتبين لنا بأن جميع التفاعلات السيئة والقيحة , والحروب والتوافقات وكل المخترعات والإكتشافات , سيظهر لنا بأنها من صنع الأفراد الذين تمكنوا من جعل المجتمعات تتقاد لإرادتهم وتتبعهم.

وفي زمننا المعاصر , هناك العديد من الأشخاص الذين غيروا حياة المجتمع البشري بأكمله , أمثال صاحب ما يكروسوفت وأبل والفيس بوك وغيرها من المبتكرات التي صارت تقرر أيامنا ونشاطاتنا اليومية , وهذا يعني أن الشعوب لا يمكنها أن تكون طاقة ذات قيمة من دون أفراد يمتلكون قدرات إبداعية متميزة تأتي بما يساهم في تطوير أو تدمير الحياة البشرية.

فمثلما هناك أفراد يخترعون ويبعدون في ميادين الخير والتقدم المعرفي , هناك أفراد يبدعون في ميادين الشر والخراب , ومخترع البارود على رأس القائمة , والذين إخترعوا الديناميت والكلاشنكوف والقنابل بأنواعها , وغيرها الكثير من وسائل الفتك بالحياة.

وكما هو معروف هناك أفراد أوجدوا أفكارا وعقائد ذات قيمة تآلفية وأخوية وآخرون أوجدوا أفكارا وعقائد ذات طبيعة عدوانية , وفي الحالتين يتمكن الأفراد من صناعة الأتباع الذين يموتون من أجل العقائد التي تمكن الفرد من ترويجها وترسيخها , وحصل ذلك في ألمانيا وروسيا وجميع الدول الأوروبية على فترات

أغلبنا لا يفهمون حتى في الإستثمار بالموارد النفطية التي حولوها إلى مصدر للولايات والتصارعات الداخلية والإقليمية , وما فكروا بالموارد البشرية

لن نكون ونعيش بسلام , إن لم نوفر الطعام ونصل الرحم , ونستثمر في طاقات الإنسان وتأهيله لكي يكون قدرة إقتصادية ذات إنتاجية عالية

هل أدركنا أن الإسلام في بداياته قد إستثمر في الموارد البشرية العربية والعالمية وحقق ما حقق , وعندما تخلى عن هذه الآلية الحضارية إنحدرت الأحوال إلى الهاوية

في زمننا المعاصر , هناك العديد من الأشخاص الذين غيروا حياة المجتمع البشري بأكمله , أمثال صاحب ما يكروسوفت وأبل والفيس بوك وغيرها من المبتكرات التي صارت تقرر أيامنا ونشاطاتنا اليومية

أن الشعوب لا يمكنها أن تكون طاقة ذات قيمة من دون أفراد يمتلكون قدرات إبداعية متميزة تأتي بما يساهم في تطوير أو تدمير الحياة البشرية

هناك أفراد أوجدوا أفكارا وعقائد ذات قيمة تآلفية وأخوية وآخرون أوجدوا أفكارا وعقائد ذات طبيعة عدوانية

متفاوتة , ولا يخلو مجتمع من هذه النزعات والتوجهات والتفاعلات.

ويبدو أن المجتمع العربي تجتاحة موجة من هذه الأعاصير العدوانية التي تجد لها أتباعا ومعتقدين , مما يتسبب في إنهضام الوجود وتدمير الحياة , وتحويل المدن إلى خراب , والأرض إلى يباب , فلا تجد فيها إلا الأتقاض والأسمال والأشلاء , ولا تسمع فيها إلا الأنين والعواء .

ولا يمكن الخروج من هذه السورة الشرائية إلا بإرادة فردية ذات قدرات وطنية وإنسانية تستوعب المرحلة والتأريخ وتقيمهم في معطيات المستقبل , ويمكنها أن تمتطي ظهر الأجيال وتأخذ بهم إلى بر الحياة وتديقهم طعم المحبة والأخوة والألفة والأمان.

وإن لم يتوفر هذا الفرد فاقراً الفاتحة على مجتمعات أضاعت قيمة الإنسان!!

لا يمكن الخروج من هذه السورة الشرائية إلا بإرادة فردية ذات قدرات وطنية وإنسانية تستوعب المرحلة والتأريخ وتقيمهم في معطيات المستقبل

إن لم يتوفر هذا الفرد فاقراً الفاتحة على مجتمعات أضاعت قيمة الإنسان!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa245-150719.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

[/http://www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

إصدار " الكتاب السنوي 2019 لشبكة العلوم النفسية العربية "

" منجزات 18 عاماً من الكدج ... 16 عشرة عاماً من التواصل "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

موقع المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=330&controller=product&id_lang=3

اشتراكات المساندة في مؤسسة العلوم النفسية العربية 2019

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات العضوية الفخرية في المؤسسة 2019

عضوية " الشريك الفخري الراسخ "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=125&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الفخري الماسي المميز "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الفخري الماسي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية الشرفية في المؤسسة 2019

عضوية " الشريك الشرفي المميز "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3